إهداء

إيهاب البعبولى

إلى الأستاذ العزيز

والأخ الزميل

محمد الرائدي

إيهاب البعبولي

الغريب

قصص قصيرة

الطبعة الأولى
الإسماعيلية - أغسطس ٢٠٠٦

إهـــــداء

إلى روح أمي التي ما توانت

إلى ذكرى جدي التي ما توارت

إلى زوجتي التي بالحب علي جادت

إلى كل العاشقين وقلوب عانت

إيهاب البعبولي

قبل البداية

لأن الحياة وهمّ فقد اختزلت كل الحياة في لحظة.. فكل قصة تختزل في مضمونها وهم .. أو أمل .. أو .. رغبة أو حتى ما يحيك في صدورنا من بقايا إرهاصات الصغر ، ولأن الحياة مليئة بالمفاجآت فستجد نفسك معي ، في قصتي ، في قلب الحياة بكل مفاجآتها .

إيهاب البعبولي

وليد العراء

على الكرسي الوثير .. في قصره الشتوي تداعب أحلامه أفكاره .. الجو شديد البرودة .. حتى ملابسه الثقيلة والجاكت الطويل المبطن بالفراء لا يقيه الشعور بالبرد ..

أخرج سيجاره الفخم .. أشعله .. أشعل المدفأة .. مر بيديه على النافذة .. نظر عبرها إلى حديقته الواسعة .. وسيارته الفخمة .. راقب السماء .. كانت ملبدة بالغيوم .. الجو ينذر بسقوط المطر .. المطر ينهمر بشدة .. يغمر جسده النحيف .. تتبلل ملابسه الممزقة أمام بوابة القصر .. يصحو من غفوته .. ينسحب بعيداً .. يتوارى من المطر ..... فما هو إلا وليد العراء .

وهم

وقف مرتبكاً أمام العمارة .. التقط يدها متعجلاً تلفت يميناً ويساراً .. اجتازا شريط السكة الحديد .. بدت أمامه صفحة (القنال) هادئة .. ساعدها على ركوب اللنش .. اتجها سوياً صوب الرمال الكثيفة في الشمال .. غاصا سويا في عمق المكان .. جلسا على الشاطئ الذهبي ما بين الامتداد الشاسع للرمال وصفحة الماء ، صرخ فيها "أحبك" .. أفلتت من يديه .. ابتسمت .. جرت .. حاول اللحاق بها .. اندفع بلا وعي قبل أن تضيع منه .. دنا منها .. حاول الإمساك .. حاول .. وحاول .. دنا .. اقترب .. وبسرعة دفعه بائع الفول قبل أن يصطدم بقدرة الزيت .. طأطأ رأسه .. أخفى دمعته .. ثم انسحب .



النهاية

كنت أشعر أنه يعلم بقرب نهايته المحتومة .. التماعة العينين .. وجومه .. والصمت المطبق .. وبصره الشاخص تدل على تسليمه لقدره .. الحياة حلوة .. هكذا أظنه يقول ..

تمنيت ساعتها أن أحتضنه وأضمه إلى صدري .. الفراق صعب .. لكنه ليس فراق ، إنَّه موت .

منذ أتى إلى منزلي وهو واحدُ منا .. كان كِابنٍ صغير .. أُطعمه ، وكلما كبر كبرت معه آمالي

نعم ، الفراق صعب ، (والعشرة لا تهون إلا على ابن الحرام)

لكن الحكم قد صدر .. لابد أن يُضحَّي من أجلنا .. لابد أن يسلم بالقدر .. تشبثنا .. قاومنا .. قربت السكين .. ذبحت .. نحرت .. سالت الدماء .. هلل الجميع .. الله أكبر .. عيدُ مبارك .

رغبة

وقف بجسده النحيف يترنح من الضعف ..

الجوع يقطّعُ أحشاءَهُ .. تسمر في نفس مكانه بجوار الرصيف ورائحته الكريهة تفوح منهُ

فجأة لمحها .. تفحّصها .. سال لعابه عليها .. تمنى أن تكون له وحده .. تمنى ألأ يعود لبيته القذر إلا وهي معه .. تمنى أن يحتضنها ، بهره لونها الأبيض الناصع كلون السكر ، والتفافة الساق الملونة بلون الدم كالفراولة الحمراء .. حاول جاهداً أن يتمالك نفسه .. حاول جاهداً أن يدفع عن مخيلته رغبته المجنونة..خَطْفٌ.. سرقةٌ اغتصاب ..

تمالك نفسه .. همس : لن أترك هذه الفرصة تفوتني .. تربص .. التفت حوله .. حملق بكلتا عينيه .. غافل الجزار ثم اندفع .. خاطفاً قطعة العظم بما عليها من بقايا اللحم .. ثم أطلق ساقه للريح .

دماء

كادت خيوط الظلمة أن تنجلي ... بزغ الخيط الأبيض للفجر واضحاً .. كان السور الخارجي للحرم يعج بذوي النجوم اللعينة .

برزت بين أيديهم أسلحتهم المحببة لديهم .. تجمع المصلون خلف الإمام .. وقفوا بين يدي الله ... قرأ الإمام الفاتحة " قل يا أيها الكافرون " .. غشت السكينة قلوبهم .... ركعوا ... سجدوا ... دعوا الله أن يخلص بلده المقدس من تلك الأجساد النجسة .

فجأة ...... تسلل الشياطين في زيهم العسكري .. وعلى أكتافهم نفس النجوم الثلاثة اللعينة ... عبروا السور ... دخلوا المسجد . تلاشوا خلف الأعمدة الخلفية للمسجد مدوا أسلحتهم إلى ظهور المصلين ..

فجأة . ارتعشت يد أحدهم ... تردد .. جاذبته أفكاره .. حاول الضغط على الزناد .

همس . كيف لي أن أقتل تلك الأجساد الساجدة ؟! كيف أقتل إنساناً بلا ذنب ؟! صرخ أحدهم :- إنهم فسقه .. همس آخر :- التوراة تحل قتلهم .

صرخ ثالث :- إنهم أعداء خيبر .. قال آخر : لابد أن نحقق وعد التوراة .. كاد الإمام أن يسلم .. فتحوا النار .. تساقط القتلى .. اندفعت بحار الدماء الغزيرة على أرض الحرم الطاهر .. سلم الإمام .. تدافع المصلون .. أمسكوا أحد القتلة .

حاولوا أن يقتلوه .. فيقتلوا معه ألف ألف شيطان .

اندفع حرس المسجد .. حاولوا إنقاذ القاتل .. تساقطت الأجساد الواحدة تلو الأخرى .

دخل مندوب الحكومة اليهودية .. صافح الإمام .. قدم له اعتذار الحكومة .. نظر متحسراً إلى جثث القتلى ..

والى الجرحى .. وإلى الدماء .. نظر متحسراً إلى آثار الدماء في الحرم الطاهر .. دمعت عيناه

ولكنه أبداً ما كان يبكي على الجرحى .. ولا القتلى .. ولا الدماء..

لقد آلمه أن تُسكب تلك الدماء النجسة لتلك الأجساد القذرة في هذا المكان ..

خرجْتُ من غفوتي .. حولت مؤشر المذياع على المحطات العربية

لبنان تشجب .. سوريا تصخب .. مصر تدين .. تزاحمت الكلمات في رأسي

تصخب .. تشجب .. تدين

أبيب .. الإبراهيمي .. القدس .. مذبحة .. دماء .. يهود .. أمريكا .. عرب

قفلت المذياع ثم شجبت .

بروية

لفحني هواء الجبل .. تناولت أحد الأعواد الجافة .. مارست هوايتي المفضلة في تنظيف أسناني .. تماديت في التجول بين تلك الأرض الخرساء الموحشة .

لمحتها ..

كانت تتشح بوشاح أسود قاتم .. يتدلى من شعر رأسها حتى يلامس الأرض .

انشرح قلبي .. تهللت نفسي

أخيراً قد وجدت من يؤنس وحدتي .. حيث الجبال والسكون والملل .. "راقبتها" من خلف صخرتي .. خلعت عنها وشاحها .. كدت أهوى من سفح الجبل .. كانت مضيئة كالقمر .. عيونها الليل ، عميقة كالبحر .. ساحرة .. نسيت نفسي .. وقفت .. رأتني .. هرولت .. أخفت عيونها عني .. اتشحت ، انسحبت ، واختفت ..

وظللت أنا صامداً .. واقفاً .. مذهولاً .. أبحث بين طيات المكان بلا جدوى .



أهداف ضائعة

استلمت الكرة .. مررت من مدافع تلو الآخر .. قذفت كرتي صوب المرمى .. عاندني الحظ .. ارتطمت كرتي بالعارضة .... ارتفع صياح المدرجات .. مسحت وجهي .. اندفعت كالصاروخ .. ارتفعت في الهواء .. عبرت باندفاعتي ذلك الزحام الأرضي

استقبلت الكرة برأسي ... أسكنتها بجوار العارضة

تباريت في إضاعة الأهداف (نعم فأنا عمري أتباري في إضاعة الأهداف) جاءتني الفرصة تلو الأخرى لأثبت أنني لست بعاجز

انطلقت كالصاروخ ... هيأت الكرة لنفسي .. وضعت فيها كل قوتي .. خرجت كأنها العاصفة .. استقرت في قاع المرمى

أخرجني صخيب المدرج من غفوتي ... مررت يدي على رِجْلَيَّ المشلولتين ... مسحت دمعتي .. ثم حمدت.

حلم الموت

تسللت الشمس برفق حتى المخدع ، لفحته فاستيقظ ..
التفت حوله باحثاً عن قطعة خالية فوق الجدران ..أراد
أن يكتب ، راوده الحلم مرة أخرى .. ناداه الوحي ..
أبشر سيعود أبوك .. تهلل وجهه ..
دق الباب .. رآه .. احتضنه .. قبّله .. أهداه الدمع ..
عاد الأب ، شرق المخدع ، سرق البيت ، طرد الابن ..
يعود الوحي ، يموت الأب ، يموت الوحي ..
ينقشع الحلم



البائسة

نظرت إليها مبتئِساً .. سئمت النظر إليها ..

أضفى الزمان على وجهها كدر ..

كانت تبحث عن الطعام بين بقايا القاذورات .. أجزمت

أنها من الضعف كانت تمشي على أربع ..

كان جسدها عارياً إلا من فراءٍ قذر ..

أشفقت عليها حتى الثمالة

عاودتني الذاكرة

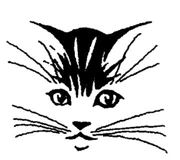
كانت في بيتي ملكة مدللة .. كانت فتاتي الصغيرة ..

كنت أحبها .. وكانت شديدة الأعجاب بي

كنا نتقاسم الفقر سوياً .. نتقاسم الحزن سوياً ..

نتقاسم الليل سوياً .. آهِ مسكينتي .. آهِ حبيبتي

مسكينة قطتي الصغيرة .



وداع

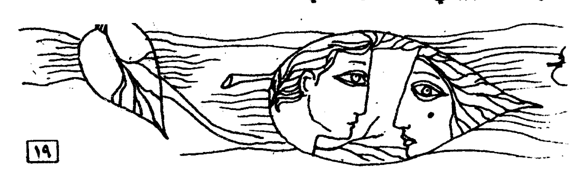
رمقتـي ..ازدرانـي .. حملـق بكلتـا عينيـه فـي .. أخفيت جبهتـي بـين يـاقتي .. هرولـت مبتعداً عنـه ... اتـَّجهتُ مسرعاً إلى منزلي .. لمحتني .. ازدرتني .. رمقتني .. كررت نفس محاولات زوجها معي ..

صعدت إلى المنزل .. مسحت دمعاتي .. ارتكنت على الحائط .. رمقت نفسي في المرآة .

تساءلتُ : أشيطان أنا ؟!! .. أي جرم قد فعلته ؟! ..

هرولت دموعي .. ركضت في سباق على خدي ..

خرجت إلى الشرفة .. رأيتها تنتظر كالبدر .. أشارت .. ابتسمت .. أشرت .. ابتسمت .. أخفيت يدي مسرعاً فقد رمقتني .. رمقتني .. حطما النافذة في وجهي .. صرخت وداعاً حبيبتي .. فقد إزدراني والديك .



الغريب

حننتُ يوماً إلى أصولي البدوية .. فسافرت فجأة إلى أرض أجدادي .. ركضت بين الرمال الكثيفة ، والأشواك المترامية وقتامة الأعشاب .

مشيت كما لم أمش من قبل .. ركبت الجمل .. عبرت مساحات من النخيل .. شهدت عالماً يعج بالكائنات .. كانت السحالي والدفانات والدبابير والجعارين والنمل تتسابق في جد غريب .

مر الوقت سريعاً .. هربت الشمس خلف كثبان الرمال .. ظهر القمر يتهادى في حياء .. أستأذنني صديقي البدوي بالمبيت عنده ، هممنا بالعودة قبل حلول الظلام. كانت ليلتي حافلة ، لم يغمض لعيني جفن ، ظللت ساهراً حتى الصباح .. راقبت النجوم اللامعة .. بهرني القمر ، وارتعدت أواصري حينا من صوت الذئب ،

وحينما من صوت الرياح ، وحيناً من اهتزاز الخيمة التي تأويني .. مر الليل عصيباً ، ومع أول خيوط الفجر .. تسللت وحدي أستكشف ذلك العالم الغريب .. فخضت المكان مشدوهاً .. ابتعدت كثيراً عن خيام القبيلة .. مر الوقت سريعاً .. أشرقت الشمس على تلك الأرض الجدباء والوهاد المترامية .. الشمس جعلت المكان يضج بالحركة .. أغنام ترعى .. أصوات نباح .. جمال .. نمل .. فراشات .. حيوانات الصحراء الصغيرة حولت المكان إلى ساحة حرب أو سوق عظيم .

من صوب تلك الأشجار الجدباء ينبعث صوت الناي الحزين ، وعلى الجهة المقابلة يرعى قطيع الأغنام .. صوت الناي يشدني .. يجذبني نحوه .. يذكرني بجذوري البدوية وارتباطي بهذا الصوت الأثيري الحزين .. رحت أراقب صوت الناي من بعيد .. بهرني عازفه .. أسمر البشرة .. نحيف الجسم .. أسود الشعر

.. شديد سواد العين .. رأيته يعزف .. سحت دمعة على خديه .. اقتربت منه .. جاذبته الحديث .. أشعرني بغربتي .. ابتعد عني .. لوَّح لي بعصاه هشني كما يهشُّ الغنم .. ثم راح في بكاء عميق .. كررت محاولتي .. نظر إلى وأجهش في البكاء ثم قص كما لم يقص من قبل : يتيم أنا .. رعيت الغنم منذ صباي .. افترشت الرمل .. التحفت الغيم .. وامتص الحزن رحيق عمري .. عشت وحيدا بين قبيلتي وأهلي .

لم يلهني يا سيدي سوى الحب .. نعم أحببت .. فأغناني حبي ودفع عني قسوة العيش ، ووحدتي وسأمي ، أحببت جارتي تلك الصبية الجميلة ذات العيون التي تشعرني بظلمة الليل .. عشقتها .. بادلتني العشق .. فتملكت كل إحساس لدي .. كان الصباح حيث الرعي ميعادنا ، والمساء فراقنا .. شهدت كل نبتة على حبي ، وسمعت كل غنمة ترنيماتي .. عشقتها حتى

الثمالة .. عشقت كل درب خطته ، وربط الحب بين قلبينا .

زفر ... تنهد ... مسح نهر الدمع عن عينيه .. أغمض عينيه ثم (قص) : فضحتنا نظراتنا .. أصبح حبنا المكتوم بين طيات قلبينا علنا .. أصبح السر جهراً ، وشاعت قصتنا في دروب قبيلتنا .. قصها الغلمان ، والرجال ، والنساء .. قصتها نسمات الهواء بين الدروب .

ثار رجال القبيلة ، وشيوخها ، وأبناء عمومتي وعمومتها ، واجتمعوا ... وقفت مشدوها .. مذهولاً بين مجلس القبيلة انتظر الحكم الأليم أعلن شيخ القبيلة بعد طول التشاور الحكم : " نظراً لذلك الإثم العظيم الذي اقترفته في حق قبيلتك واستهزائك بأعراف وتقاليد قبيلتك فنحن مجلس القبيلة نقرر تغريمك مائة ناقة أو النفي "

ارتفعت الأصوات الغاضبة النفي .. النفي .. النفي .....

خرجت يا سيدي وحيداً مطروداً .. أسكن تلك الخيمة ، وأأتنس بغنمي ومزماري .. ظلمتني قبيلتي .. ظلمني أهلي .. فهل الحب يا سيدي إثم ؟! .. حرموني حبيبتي فاقتلعوا من عمري ألف عمر ! ..

الدمع ينبجس من عينيه .. سحت دمعة تلو الأخرى .. تدفقت كينابيع الشقاء .. صمت .. دفن رأسه بين راحتيه .. أطرق رأسه .. أغمض عينيه .. حلّق بعيدا عن عالمي .. لم أتمالك نفسي .. خنقتني العبرات .. عاود التحدث : حرموني حبيبتي .. أرغموني الوحدة .. اتفقوا على سومي الخسف .. جعلوني أضرب في عروق الليل وحدي .. غريب أنا يا سيدي ، سقيم الفؤاد .. مسلوب الحبيبة والوطن .



انتحار

كان شارداً .. دامع العينين ... ينطوي بجسده النحيف خلف إحدى أشجار (الكافور) الهرمة .. استند بظهره على الشجرة

... حكى لها : (فقير أنا .. عاشق أنا) .. مسكين حزين .

الدموع تنهمر من عينيه لترسم مجراها على الخد

فجأة ينتفض مذعورا كأنه مسه من الشيطان مس ..

يركل الشجرة .. يتسلق ساقها الهرمة .. يصعد .. يصل إلى أعلى نقطة فيها .. يصرخ وداعا (عزيزتي)

يسقط من فوق الكرسي .. يصطدم بالأرض .. ينظف ملابسه من الحشائش

ثم ينسحب هارباً من بسمات الجميع .

الثورة

كان يوماً من أيام الصيف الحار .. كان المكان يعج بالحركة .. .. استيقظت متأخراً كعادتي .. رمقت النافذة .. الصورة أسفلي مزعجة .

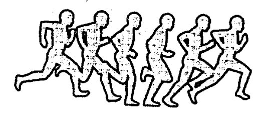
" أصوات .. صراخ .. هتاف ... جمعٌ من الفلاحين يرفعون سنابل القمح .. عمال يرفعون أجوال الدقيق الفارغة .. شباب وشيوخ وأطفال "..

الجمع يتقدم .. يقودهم رجل مثقف .. كان يتلو كلماتٍ غير مفهومة التقطتها أذني في غفلةٍ .

" إمبريالية .. صهيونية .. أزمة .. تحكم إستعمار "

يصمت ثم يصرخ .. العمل .. الكد .. العدالة .

الجمع يتوقف أمام كشك صغير .. يتقدمهم القائد المثقف .. يتراصون .. يتساوون .. ينتظرون الدور في طابور الخبز .

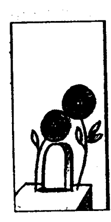


الرحيل

مررت بنفس الطريق القديم ... تنسمت نفس الهواء .. شممت نفس الرائحة ... حاصرتني أسراب الذكرى .. تعثرت قدماي أمام أول حفرة .. كدت أسقط .. هبت الرياح الباردة على جسدي.

اهتزت أغصان الشجر .. " لمحتها " تتهادى خلف نافذتها .

أسدلت شعرها القاتم كالليل على وجهها .. تسمرت قدماي .. سحت دموعي .. توقف نبضي .. اقتربت ... جثمتُ على أنفاسي .. مات الكلام بداخلي ... اعتصرني الألم .. قاتلتني الذكرى .. سكبت دموعي ثم رحلت .



حفرة الموت

صرخت جدتي بكل قوة .. لا تحاول الذهاب إلى الترعة وإلا خطفتك الجنّيّةُ ، برطمت في نفسي جنية إيه ؟!! بلا جنية بلا عفريت !!!

تأملت ذلك المكان المرعب الذي حذرتني منه جدتي .. كم كان جميلاً في نظري .. خلعت ملابسي ... وقفت برهةً .. راقبت الماء المندفع .. شدتني هدارات الماء .. تذكرت كلمات جدتي لي .. لا تذهب الجنية هناك عند حفرة الموت .. حاولت التغلب على أفكاري .. أسقطت جسدي الهزيل إلى أسفل .. غصت .. فجأة .. رأيتها أمامي ..

بذراعيها الطويلتين وشعرها الأبيض الناصع .. حاولت بكل قوة أن أبتعد عنها .

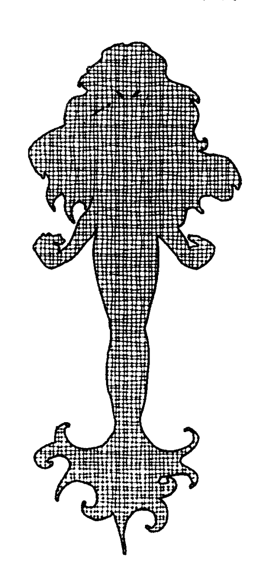
حاولت جذبي .. صرخت .. قاومت .. جذبتها بشدة .. حاولت الضغط عليها .. فجأة .. صرختُ .. جدتي ..

جـدتي .. جـذبتها بسـرعة قبـل أن تغـوص فـي حفـرة الموت.

ارتميت في حضنها .

بادرتها :- سامحيني يا جدتي

لقد ظننتك الجِنِّيَّة .



داعبتني فكرة الخروج من الباب الخلفي كأنها ذبابة القبور ثقيلة لا تمل التردد .. ولكن كيف أجازف بالخروج من الباب الخلفي ؟

تذكرت مروري في الصباح ... تذكرت تلك الجثة المحترقة ذات الملامح المشوهة .. تذكرت ذلك الرجل المصلوب ، وتلك الرأس المهشمة تذكرت تلك اللحوم المتناثرة ، ولم أنسَ أبدا تلك (اليافطة) العتيقة المكتوبة بخط أكله الزمن " هنا الثلاجة والمشرحة "

انتفضت من مكاني مذعوراً ... تذكرت أن السلم الخلفي هو بداية المشرحة خارت قواي ...

أخرجني صوت زوجي المريض من سجن أفكاري .. تقدمت نحوه قبلت يده الضامرة .. استحلفني أن أحقق له مطلبه الأخير ، ربتّ على كتفه .. اندفعت إلى البوابة

الرئيسية طرقت " كشك " الغفير بقوة .. انتفض كالمجنون .. نظر بعينيه الجاحظتين الخائفتين نحوي ، صاح بصوته الجش " مين هناك " تلعثمت .. توسلت له أن يفتح لي البوابة فزوجي يلفظ أنفاسه الأخيرة وقد طلب مني مطلبه الأخير .. رق قلبه ، ترأف بحالتي ، فتح لي البوابة ، وطلب مني العودة من الباب الخلفي ، ذهبت بسرعة إلى سوق المدينة الساهرة .. تسوقت بعضاً من علب الزبادي ، والعصير ، والخبز ، ولم أنسَ أبداً علبة الحليب عدت مسرعا ، وعاودتني أفكاري القديمة .. اهتزت يدي المرتعشة خوفاً ، ازداد اضطرابي كلما أقتربت من " المشرحة " ، طرقت الباب الخلفي للمستشفى العام ... برز لي الغفير تبدو من ملامحه علامات الهلع .. توسلت إليه أن يسمح لي بالصعود .. رضخ لتوسلاتي .. أنار المشرحة .. تقدم معي .. فتح الباب الآخر الموصل إلى السلم أوصلني

حتى السلم .. أغلق الباب خلفي ، ثم أطفأ النور الداخلي ، مرت علـيّ لحظات الصعود كأنها عمر .. تمنيت أن أمتلك قوة خفية توصلني للدور الرابع ، وصلت إلى منحنى السلم ، فجأة حاولت أن أصرخ .. تسمرت مكاني .. قبضت على أشيائي بعنف ، هرب الدم من عروقي .. تصببت عرقاً .. حُبس صوتي .. شُل لساني .. انتقع لوني ، وصار خليطاً من اللون الأسود ، والأحمر ، والباهت ، رأيته ، نعم رأيته ، كان هيكلاً عظمياً مقزز لم أرى في حياتي أبشع منه صورة .. كانت قطعات اللحم المحروق تلتصق بجسده كأنها أوراق الحائط .. ابتسم لي .. حملق بهيكل وجهه القبيح في .. ناداني باسمي .. صرخ في " رايحه فين يا سمية " تلعثمت .. حاولت الفرار .. وخزني في مؤخرتي .. فلم أشعر في عمري أنني صعدت أربعة طوابق في لمح البصر كما صعدتها يومها .

اللعينة

حلَّ الليل .. غطى بظلامه الممر الضيق الموصل لغرفتي ، الشارع خالٍ إلاَّ من بعض الكلاب الضالة ، والقطط الجائعة ، وسباقات الفئران .

اقتربتُ من الممر .. دلفت فيه ببطء .. السكون قاتل .. والظلام مخيف .. وصلت إلى باب الغرفة .. مارست نفس عادتي في التعامل مع القفل .. حركت المفتاح يميناً ويساراً .. سحبته بعنف .. بللته بلعابي .. كررت محاولاتي حتى فتح .. بصقت لعابي المختلط بطعم الصدأ

دخلت .. تمددت على السرير .. ركزت بصري نحو السقف

فجأة ... التقطت مسامعي ذلك الصوت الخافت ، أخرجني ذلك (الزن المتكرر) عن شعوري ..

رأيتها أمامي .. عارية إلا من جناحين خفيفين شفافين .. راقبتها .. اقتربت .. اقتربت تتهادى كالفراشة .. اقتربت من الحائط .. توقفت .. استندت عليه .. اقتربتُ منها ... تهاديتُ في مشيتي إليها .. اقتربت أكثر فأكثر .. كادت يدي أن تلمسها .. أقسمت لحظتها أن أقتلها لأخلص نفسي من قبلاتها وذنوبي ..

أقسمت أن أتلذذ برؤية دمائها كما تلذذتْ بامتصاص دمي وراحتي وحياتي ..

راقبتها .. رفعت يدي .. صفعتها صفعة الموت .. رفعت يدي الملطخة بالدماء .. ألقيت جثتها بعيداً عني .. تركتها هامدة مسجاة على الأرض .. تمددت على السرير .. تنفست .. صرخت .. وداعاً أيتها الباعوضة اللعينة .

الجميزة

قذفت أحجاري صوب الماء .. مررت على الساقية .. ابتعدت عنها وغصت في أعماق الخضرة .. تمايلت مع تمايل كل ورقة .. جلست تحت خمسمائة عام .. تساقطت على جسدي أوراقها .. وأصبت منها بعضاً من الجميز .. الشبع أتخمني ..

غفوت ..

ركلتني بقرة الساقية البعيدة عني .. حلبت منها بعضاً من الحليب الساخن المحلى .. وتناولت بعضاً من الزبادي الطازج اللذيذ .

شكرتها فانصرفت .. وانصرف عني الحلم



اللقيط

رأيته يمر أمامي .. رجلُ مسنٌ .. شاحب الوجه .. ذو ملامح خشبية ..... رأيته يمشي منحنياً وكأن هامته تلامس الأرض .. سكيراً .. منكسراً .. لا يعبأ بالحياة ..

مر أمامي ببطء .. لم يلتفت إليَّ ... بل لم يحييني ، وأظنه لم يرني ... كان دائم الشرود .. دائم الوحدة .. دائم الاختفاء .. لمحت خطواته قد أسرعت ..

هرول مسرعاً ... اتَّجه إلى الشاطئ .. كان دائم الجلوس عند الصخرة المهجورة بجوار القصر المهجور " تعقبته " رأيته يتجه إلى نفس المكان ..

ارتحل صوب القصر . استند بظهره على الحائط الغربي .. أخرج زجاجة " الويسكي " من معطفه الرث .. عض السدادة .. جذبها نحوه .. فتحها .. رشف رشفة .. تسمرت الزجاجة في يده ... ظل مندهشاً ... قرب

أثناه من الحائط .. أرهف سمعه .. الصوت يرتل في حسرة وألم ..

ماذا فعلت لأصير من زمرة اللقطاء ؟!!

لا مسكن لي ولا عنوان .. آكلُ مثل القطط والكلاب .. أنام في الظلام .. أتحسس بلا أحساس .. أحيا بلا حياة .. ولكنني يا ربي غير يائس من رحمتك .. راضياً بقضائك..

سمع محمد أفندي ذلك العويل .. فبكي .. ثم تمتم معاتباً نفسه : ظللت طوال عمري هارباً من ذكراي وهمي .. أداوي الجرح بالنسيان .. وها هي الصدفة تفتح جرحي من جديد لينزف دمي ودمعي .

نظر محمد أفندي إلى الصبي الأجعد الشعر .. الرث الثياب .. أحس بشيء يجذبه نحوه .. ألقى الزجاجة أرضاً، احتضنه ثم راحا في بكاءٍ عميق .

لحظات خاطئة

كان الجو حارًا .. وكنت دائما ما أشعر بالاختناق بين تلك الكتل الخرسانية والنوافذ

لم يكن يستهويني سوى الجلوس في الشرفة (البلكونة) ؛ فتهب على جسدي نسمات عليلة تشعرني بالحياة ..

يحل الليل .. فيرسم القمر أشعته الفضية على الحائط ، وتنار المصابيح الكهربائية ، ويشع جو من الحركة في تلك المدينة الجامدة .

شردت بفكري بعيداً أتنزه بين هالات ذلك المساء الربيعي ، وألوان الزهور في الشرفات ، وأنوار المصابيح الملونة ..

فجأة استوقفتني تلك الإشارات المنتظمة ، والإضاءات البراقة لأحد المصابيح .

نعم رأيتها .. كانت شرفة ملكتي ..

تتهادى فوق سطحها الملكة تعلن قدومها ..

قمت أطفأتُ المصباح .. فأطفأتهُ .. جلستْ ..

فجلستُ..

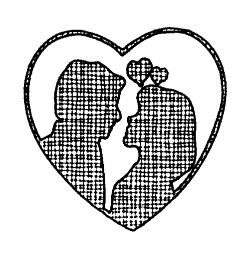
أشارتْ .. تمايلتْ .. تهادت كغزال جميل .. تزينت ..

مرت ساعات النشوة مسرعة

آن لليل أن ينصرف .. قامت أنارت المصباح

فزعتُ .. غاصت جبهتي بين يدي ..

سماحاً حبيبتي فقد غازلت والدتك



عجز

تلاطمت أمواج البحر .. تكسرت الواحدة تلو الأخرى

على الشاطئ .

كانت " الفلوكة " تتماوج أمامي وتندفع بفعل الموج .

زقزقات الطيور المهاجرة لاتكن ولا تمل .

حاولت أن أتشبث بطير السمان .. ناجيته ليحملني معه

توسلت إلى الفلوكة أن تمنحني قوي التموج .

دمعت عيناي .. تملكني ذلك الإحساس المؤلم " العجز"

كظظت على أسناني .. عضدت أناملي .. انفجرت في

بحار دمعي

راقبت أخي وهو يحرك أصابعه على نول النسيج

حاولت أن أنهض .. قاومت عجزي .. تموجت

اندفعت .. حاولت .. تشبثت ولكن يا حسرتي

هزمني عجزي ،،،

الساقية

كان الجو ربيعياً .. اصطفت الورود البرية على جانبي " القناية " ازدانت الأشجار بألوان الورود .. انساب الماء يداعب الخضرة في حياء مررت على نفس الطريق القديم .

كم لهونا فيه ، وكم لاحت الذكريات في مخيلتي .. دفعني الحنين للذهاب إلى الساقية .. تقدمت خطوة .. تأخرت أخرى .. تساءلت بيني وبين نفسي أي جنون أقدم عليه ؟!! أأذهب إلى الساقية ؟! تعجبت من نفسي !! ما الذي يدفعني للانتحار ؟!

أمجرد الحنين ؟!

عاودت التفكير .. ترددت .. ثم اندفعت بقوة نحو الطريق ..

شعرت بنشوة المرور في طريق لم تلمسه قدم منذ سنين .. عشت لحظاتٍ فريدة .. شققت طريقي بين

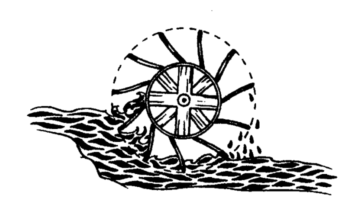
أعواد البوص الطويلة .. أزحت البردي من طريقي ..
شعرت بقوة الهواء خلفي .
شردت وابتعدت كثيراً عن قريتي .
اقتربت أكثر من (الساقية)
لم يتبقَ إلا القليل على وصولي ..
ولأول مرة في حياتي أشعر بهذا الخوف .
ولأول مرة أشعر برهبة المكان ..
ولأول مرة أشعر بتلك الأرواح الشريرة الشاردة حولي
وتذكرت .. وياليتني ما تذكرت ..
تذكرت حكايات جدّي عن المكان ..تذكرت تحذيراته لي..
تذكرت أقاصيص النسوة أمام عتبة الدار ..
مرت القشعريرة في جسدي .. تملكت مني .. أوهنت قواي .. ، ورأيت نفسي بلا إرادة مشدوداً بقوة إلى الساقية .. رأيت شبح الجميلة وهي تجذبني نحوها .. كادت أن توقعني في الساقية ، تشبثت بقوة في الحائط الجانبي .

لمحت أخي وأبناء قريتي يهرولون نحوي .. تقدم أخي نحوي .. حاول أن يشدني .. يجذبني .. ينقذني .. هرول أبي نحوه .. أمسكه .. منعهُ عني .. صرخ فيه بكل قوة : لا يا بني ..

دمعت عيناي .. تدفقت الدموع بلا هوادة .. نظرت إليه نظرتي الأخيرة ، كانت دموعي تتساءل .. لماذا يا أبي أتحبه أكثر مني ؟!!!

فقدت شهيتي للحياة .. استسلمت للجميلة .. ثم غصت في عمق الساقية ؛ لألحق بمن سبقني .

دارت الساقية .. علا صوتها .. أيقظتني من كابوسي العجيب .



صراع اللص

كان نحيفاً .. خائر القوة .. يئن جوعاً .. ظل يجوب الشارع باحثاً في بقايا القاذورات عن كسرة خبز .. توسل إلى المارة أن يسدوا رمقه .. لهث .. زاغت عيناه .. خارت قواه .

مشى على غير هدى .. استند على الحوائط المتهالكة .. التمس طريقه بغير وعي نحو الحي الإفرنجي .. لمح الدخان الأسود الباهت في سماء الحي .

أشتمّ رائحة الشواء في نسمات الهواء .

إتجه نحو السياج الحديدي للحديقة .. استند عليه .. راقب رواد الحفل .. ظل يتفرس ملامحهم .. كانوا كالأفيال .. عراض الأكتاف ... تتدلى بطونهم أمامهم كجوال الخبز .. تعلو وجناتهم الحمرة .. يتبادلون الابتسامات والضحكات .. رآهم يتنقلون بين الموائد المتراصة الحافلة بكل ما لذ وطاب .

علـى الجانـب الآخـر لمـح كلـب الحراسـة .. ذا الشـعر الأبيض الطويل المسترسل .. كان ينام مسجياً في هدوء تبدو عليـه علامـات الخمـول .. كـان كلبـاً ضـخم الجثـة " كأبي الهول "رمي إليه أحدهم قطعة لحم .. مرت سيدة وكـررت مـا فعلـه الرجـل ، اللحـوم تفتـرش الأرض .. الكلب يتعفف عن تناولها .. الشاب لعابه يسيل .. الجوع يهزمه .. يتسلق السور .. الكلب يعترضه .

فيندفع الشاب نحوه يشل حركته .. يكيل له اللكمات .. يعضه .. يقطع أذنه .. يصيبه بكسور .. يتركه يئن ويتوجع .. يندفع إلى الموائد الشهية بين ذهول الجميع.



خيانة

تسمر الفأس في يديه .. ارتعش جسده .. تبللت جبهته بالعرق .. نظر إلى الجسد الوديع المسجى .. تحركت الأفكار في رأسه .. انتقلت إلى قاع المخ .. حاول أن يبعد تلك الفكرة عن مخيلته .. حاول دفعها بلا فائدة .. عاودته فكرة القتل رويداً التصقت به كذبابة القبور .

انتفض جسده الساهر عندما فتحت العيون المسجية رأته شاهراً الفأس في عجلة من أمره ..

دمعت عيناها .. أطرقت رأسها .. تسللت عبر عيونها قطرات الدمع .. انزلقت وئيدة على الخد العبوس .. أغمضت عيناها ..

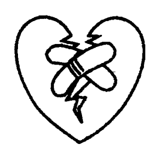
رأته أمامها طفل صغير مدلل .. وضعته على حجرها .. أرضعته .. ضمته إلى صدرها بشدة .. كان حلمها القابع تحت مظلة الكون تنهدت ..

أخرجها صوت ارتطام الفأس بالأرض من غفوتها ..
تسلل إلى أذنها صوت النحيب .. اندفع ابنها بعيداً عنها
ظل يعدو حتى نفس المكان (الجميزة)

ارتخى بجسده عليها .. تلعثم .. أخرج حروفه بطينة ..
قتلتني أمي .. أنفذت بخيانتها في قلبي ألف سهم ....
لكن لابد لي من خلاص ..

ولكن ليس بوسعي قتلها .. دائماً تخونني قواي ، لابد
لي من حل..

أنا ضعيف أمامها .. مغصوب على أمري .. أنا رجل
(خيخه) كما يقول لي جدي .. فك كوفيته .. أحكم ربطها
على عنقه .. تسلق شجرة الجميز .. ربط الطرف الأخر
للكوفيه بالشجرة .. رمى بنفسه حيث رحاب السكون ..



فرار الأسير

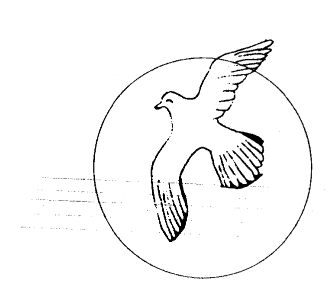
عانقت الزجاج بقوة .. عادت لي نشوة التنصت على كل حديث خافت .. توقفت حواسي مشدوهة .. أصبح جسدي كله آذانٌ صاغية .. صاح صاحب المتجر بصوت مسموع : - لقد أسرناه من قلب أفريقيا .. إنه من أحسن السلالات الإفريقية ، وضعناه في قفص حديدي وقمنا بتهريبه سراً ...

أخفيناه وحده كملك متوج على أحدى السفن القادمة من نيروبي ، إنه مصاب بالإكتئاب لتركه وطنه ..

لن يظل هكذا منطوياً كامشاً .. لابد أن يزول هذا الشعور ولا تنسى يا صديقي أنه وفياً لوطنه ولابد أنه سيكون يوماً ما شديد الوفاء لك ..

استمعت إلى ذلك الحديث بلوعة .. تساءلت متى تنتهي تجارة الأرواح ؟ إلى متى سيظل الإنسان مريضاً بداء التملك ؟!!

نظرت إليه .. لمحته وهو يحتضن الفراغ ..
لمحت بين عينيه كبرياء الحرية وذل القيد .. ارتكن
على القضبان .. انطوى وانكمش .. تدفقت أنفاسه بشدة
.. هطلت دموعه سخية .. نظر تجاهي .. استغاثت
نظراته المنكسرة بي .. اهتز قلبي لهفة لمساعدته ..
اندفعت إليه بلا وعي فتحت له باب القفص .. أطلق
جناحيه للريح وأطلقت ساقي للفرار .



غيرة

علت الضحكات .. ابتسمتُ ملء فمي .. تجاذبتُ الحديث معها .. كانت محببة إلى قلبي .. كانت خفيفة الظل .. زادت الضحكات .. وكل بسمة كانت تشع نوراً من وجنتي .. مرت الساعة تلو الأخرى دون أن أشعر ..

فجأة ...

فُتِحتْ النافذة المقابلة لنا

تسمرتْ .. كست وجنتها الحمرة ..

تدافعت خصلات شعرها الرقيق في جنون .. والشرر يندفع من عينيها .. ثم سمعت صوت النافذة المقابلة يندفع كمدفع ..

لازمت الصمت .. انفجرت ضاحكاً حتى الثمالة ..

حبيبتي تظن أنني أغازل أختي .



بهلوان

تقبل خبر تكريمه بالذهول .. فتح مظروف الدعوة .. قرأ سطورها " يسعدنا أن نكرم سيادتكم بمبنى النقابة على ما أعطيته للوطن على مدار أربعين عاماً "

احتضن الدعوة .. ارتكز على ساقيه الضعيفتين .. حاول الرقص .. لمعت عيناه .. حاول فتح الصندوق القديم .. أخرج جاكته على الطراز الفيكتوري .. كانت باهته .. مليئة بالثقوب وبقع الحبر .. مد يده مرة أخرى ليخرج بنطلوناً بخطوط سوداء باهته .. كان قصيراً .. قصيراً .. وضيقاً ..

انتفض من جلسته .. أكمل إعداد ملابسه .. خرج مسرعاً من بيته .. حمل بين يده دعوة الحضور للحفل..

وصل مبنى النقابة .. دخل القاعة .. حملق في جموع الحاضرين .. أرهف السمع رويداً .. استمع إلى مقدم

الحفل وهو يقول :- " ليس بوسعنا إلا أن نقدم هذه الشهادة تقديراً لرجل أمضى عمره في خدمة وطنه "

تقدم الأستاذ عباس لاستلام الشهادة وسط تصفيق الجميع ..

فجأة .... انفجرت القاعة بالبسمات والضحكات .. فينحني .. كلما زاد رنين القاعة ، فيعلو بنطلونه القصير إلى ركبتيه ، وترتفع جاكتته حتى أعلى الظهر فيزداد صخب القاعة ضحكاً .. نظرت القاعة بعمق إلى الأستاذ (عباس) .. تأملت ثقاب الذل في جاكتته وشرف المهنة في قميصه الملون ، وقصر اليد في بنطلونه وهفوة الزمن في ملامحه .. فتزداد هفوة الجنون والضحك ..

تسلم الأستاذ عباس شهادة التقدير دامع العينين صارخاً:- .. ما أنا إلا بهلوان .

في صحبة الموت

شـقـقـت طريقي بين الزحـام .. نظرت بعمق إلى نياح النساء .. قلدتهم .. شرعت أبكي مثلهم .. رميت نفسي إلـى الأرض .. غرفـت الطـين علـى رأسـي .. تمـددت "أتمرغ في التراب" .

لوثت خدي بالدموع الممتزجة بالتراب والغبار والطين.

حاولـت أن أشـق جلبابي مـثلهن .. تعلقـت يـداي فـي يـاقتي دون جـدوى .. كـررت محـاولتي .. لـم تسـعفني قـواي .. أجلـت نظـري فـي (الصـوان) كـان (المقـرئ) يجلس على كرسي مرتفع ..

كان صبي المقرئ يردد بين كل جزء يقروه (وحدوه) – (كل من عليها فان) فاسرع محركا شفاهي مقلدا من أمامي من الرجال ..

انفضَّ الزحام .. تجولت بين أركان المنزل أحسست بأني فقدت شيئاً .. شرعت أبحث عن فقيدتي ..

ناديت بصوتٍ مكتوم (أمي .. أمي)

ارتدَّ إليَّ صوتي عبر الجدار .

صرخت خوفاً من ذلك الخواء الرهيب .. انتابني الخوف .. أرهبني الفراغ .. خرجت مسرعاً إلى جدتي .. مررت بين ساقيها .. تعلقت في ملابسها .. سألتها في خوف .. أين أمي ؟ فلم تُجب لمحت نظرات العطف والشفقة في عيون من حولي .. دمعت عيناي .. ارتميت في أحضان جدتي .. وضعتني على "الكنبة" أمام البيت..

لهوت رويداً .. التقطت أذناي ما كنت أبحث عنه ..

سمعت أن أمي قد أخذها الموت ؟! ....

تساءلت وما الموت ؟! .... وأين ذهب بأمي ؟!

انقبضت أساريري .. شعرت بالرهبة .. تملكني الفزع .. رحت أبحث عن الموت بين جدران الحجرات ..

بحثت عنه في الممر .. ناديت عليه فلم يُجِب ..
خرجت إلى الشرفة .. انتظرت الموت قادماً مع أمي ..
انتفضت مسرعاً من مكاني .. أزحت عن جسدي
استرخائه .. أسرعت تجاه الصوت .. أسرعت أجيب
النداء (حاضر يا عمتي)
رمقتني .. ثم أهدتني صفعتها المعتادة .. عيرتني
بشبهي لأمي .. ألقت على مسامعي أوامرها المعتادة ..
ثم أمرتني " غور من وشي "
انسحبت رويداً .. انطويت خلف جدران الحجرة .. سكبت
دموعي على فراشي .. نثرت لوعتي ممتزجة بدموعي
.. عضضت أناملي .. انتظرت أبي .. شكوت له زوجته ..
نهرني .. سبني .. عيرني بأني " نكدي " مثل أمي .
صرخ في " غور من وشي "
رحلت عنه .. عدت إلى انطوائي .. تذكرت أمي
انتظرت الموت ليصحبني معه إليها .



الفهرس

للكاتب تحت الطبع

* لو تعلمين (ديوان فصحى)
* طال بعادك (أشعار بالعامية المصرية)
* كلنا غاضبون (أشعار بالعامية المصرية)
* المزرعة (مجموعة قصصية)
* المحاكمة (مسرحية شعرية)
* دمام (ديوان شعر)

رقم الإيداع ٢٠٠٦/١٧١٦٥

نبراس
للنشر والخدمات الإعلامية